© ٢٠١٥ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (٧-ب)، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٨٣-٩٦

الحالات النَّفسيَّة للمرأة في القرآن الكريم(*)

د. نهلة عبد الكريم الحرتاني[١]

ملخص

تتجلى عظمة كتاب الله في أنّه أولى الجانب النفسي للإنسان اهتماما واضحا، فالنفس البشرية وما يعتريها من أحوال، ظهرت في مواضع من آي القرآن الكريم وسوره وقصصه، وهذا يدحض ما تنسبه الدراسات النفسية إلى نفسها من الأسبقية والتفرد، وخاصة ما يوليه علم النفس من اهتمام وتقديس لنظريات فرويد العقيمة. ويهدف البحث إلى إبراز تركيز القرآن الكريم على الجانب النفسي للإنسان وخصوصا المرأة من خلال مواقف اجتماعية، وهذا يؤكد أن أساس هذه الدراسات النفسية المجتمعية منبعها من هذا الكتاب العظيم؛ إذ تحاول هذه الدِّراسة إثبات وضوح هذه الظواهر من خلال منهج وصفي تحليلي تطبيقي تم التوصل من خلاله إلى نتائج مهمة من دقة النص القرآني وإعجازه في إدراك هذه الظواهرالنفسية الشعورية الداخلية بعمق عبر مواقف مجتمعية مفتوحة للمرأة، وهذا مما تسمية النظريات الحديثة بالشمولية أي الإنسان والمجتمع والكون. ولما كانت المرأة فياضة بالمشاعر والأحاسيس، فلقد كانت أكثر ظهورا في مواقف نفسية عدة من القرآن الكريم.

كلمات دالَّة: الحالات النفسية، المرأة، القرآن الكريم.

(*) How to cite this article: Nahla A. K. Alhirtani (2015). "Al Ḥālāt al-Nafsiyyah li 'l-Mar'at fī al-Qurān al-Karīm", QURANICA Special Issue 7b, December, 83-96.

[١] د. نهلة الحرتاني، جامعة السلطان إدريس (UPSI)، ماليزيا، nahla@fbk.upsi.edu.my

مقدمة

تتجلى عظمة كتاب الله في أنّه أولى الجانب النفسي للإنسان اهتماما واضحا، فالنفس البشرية وما يعتريها من أحوال ، ظهرت في مواضع من آي القرآن الكريم وسوره وقصصه، وهذا يدحض ما تنسبه الدراسات النفسية إلى نفسها من الأسبقية والتفرد، وخاصة ما يوليه علم النفس من اهتمام وتقديس لنظريات فرويد العقيمة.

إن المتدبر في آي القرآن الكريم يلمس البعد النفسي العميق الذي صوره لنا الله تبارك وتعالى في أدق صورة،

ففي حالة الإيمان قلوب مطمئنة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد: ٢٨)، وفي حالة الكفر قلوب طبع عليها الكفر، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (النحل:١٠٨)، وفي حالة النفاق قلوب مريضة، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ (البقرة: ١٠)، وفي حالة الإيثار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩)، وفي حالة الخوف، قال تعالى:﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون:٤).

وفي حالة مشاعر البنوة، قال تعالى:﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (هود:٤٥)، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (آل عمران:٣٥-٣٦).

وفي حالة التوبة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣)، وفي حالة الرغبة الصادقة في الجهاد، قال تعالى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)، وفي النزاعات الأسرية، قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء: ١٢٨).

ولما كانت المرأة فياضة بالمشاعر والأحاسيس، فلقد كانت أكثر ظهورا في مواقف عدة من القرآن الكريم، لذا جهد هذا البحث في تتبع الحالات النفسية المختلفة للمرأة في القرآن الكريم:

هناك امرأة سوية، وهي المسلمة، وهي امرأة إيجابية متفاوتة بين قوة العزيمة والضعف، وهناك امرأة غير سوية، وهي تلك المرأة السلبية، وهي على نوعين : امرأة خالفت الفطرة التي جبلتها على الإسلام، فاتخذت الكفر طريقا، وامرأة سلبية بسبب إعاقة عقلية.

أولا:البعد النفسي للمرأة السوية في القرآن الكريم:

١ – حواء: نركّز هنا على موقفين نفسيين لحواء:

أوّلهما: التعرض لغواية إبليس بمعية آدم عليه السلام وطاعته فيما غُوي: لم يذكر القرآنُ الكريم حواء بالاسم، إنّما ذكرها على أنّها زوجُ أبينا آدم – عليه السلام– ، ولها دورٌ إلى جانب دور آدم في الخروج من الجنة والهبوط منها للعيش في الأرض، مع تحملِ العناء والشقاء في سبيل الحصول على حاجاتهما الضرورية، بعد أن كان ذلك موفرًا لهما في الجنة من غيرِ شقاء.

فالقرآنَ الكريم يجعلهما شريكين في المسؤوليةِ عن هذه المخالفة ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الأعراف:٢٠، فالجانب النفسي للغواية من إبليس على الطرفين عظيم، إذ كان الإغواء بالخلود والملك، ومثل هذا الإغواء وقعه على النفس شديد في حال الضعف الإيماني، ونجد القرآن الكريم أحيانا يفردُ آدم بالمسؤولية، فيقول: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (طه :١٢٠)، مع الإشارة إلى اشتركهما في مسؤولية الأكل:"فأكلا منها"، ولما ذاقا الشجرةَ بدت لهما سوءاتُهما، واستحقَّا بهذه المخالفةِ الإخراج من الجنَّةِ والشقاء في الأرض. كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ طه:١١٧

ثانيهما: لقد كانت حواء سكنًا لزوجها، ووجد عندها الاستقرارَ النفسي والمودة في الجنة، وزيادة لهذا الاستقرار تاقا للولد الصالح: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ (الأعراف:١٨٩ حتى نهاية الآيات:١٩٢). هنا يظهر جانبا نفسيا مهما عند حواء من الرغبة في الأمومة، وأن يكون المولود صالحا، لذلك التجأت بالدعاء لله والتضرع إليه.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعَوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء، صالحًا ليكونان لله من الشاكرين.

والصلاح قد يشمل معاني كثيرة: منها الصلاح في استواء الخلق، ومنها الصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير. وإذ كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يُعَمَّ كما عمَّه الله، فيقال: إنهما قالا(لئن آتيتنا صالحًا) بجميع معاني الصلاح. وأما معنى قوله: (لنكونن من الشاكرين)، فإنه: لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحًا.

٢– امرأتا إبراهيم عليه السلام

سارة: من النساءِ اللواتي أثنى عليهنَّ القرآنُ الكريم سارة، زوج إبراهيم الخليل – عليه السلام–، فهي عندما أحستْ بتقدمِ سنِّها وبلوغها سن اليأس (عجوز عقيم)، زوَّجته من جاريتها لعلَّ الله يرزقه منها غلامًا، وقد كان ذلك، فقد حملت هاجر وولدت لإبراهيم إسماعيل – عليهما السلام – وأوحى الله إلى إبراهيم ما أوحى، فأخذ هاجرَ وابنَها إسماعيل من فلسطين إلى الحجازِ حيث الوادي غير ذي الزرع، إلى حيث مكة الآن، كما أمره الله — تعالى.

كانت سارةُ مؤمنة برسالة زوجها، فظهرت لها الملائكة – ضيف إبراهيم – بصورةِ الضيوف، وبشرونها بإسحاق، ومن وراءِ إسحاق يعقوب، ولدًا لها تقرُّ به عينُها، وتسعد بحفيدِها منه، ويمجدها القرآنُ الكريم بمخاطبةِ الملائكة لها؛ ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود:٧٣).

يتجلى البعد النفسي لسارة في موقفين، أحدهما غيرتها الشديدة من هاجر، والآخر في صورة تلقيها لبشرى الملائكة بالولد، فالعجب والدهشة وإظهار ما وصلت إليه من ضعف الكبر وتقدم السن، كان كافيا لإظهار ما جاشت به نفسها أثناء هذه الزيارة المفاجئة من الملائكة لأهل هذا البيت المجيد (هود: ٦٩–٧٢).

هاجر: لم يصرح القرآن مباشرة بالجانب النفسي لمعاناة هاجر عندما تركها زوجها إبراهيم عليه السلام في واد غير ذي زرع، ولكن يظهر لنا العذاب النفسي لهاجر من عظيم دعاء إبراهيم –عليه السلام– وتضرعه لله في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٧ حتى نهاية الآية:٤١). فالواد الخالي من الزرع يدل على عدم وجود الماء، وكذلك خلو المكان من الناس والثمر، فكيف تكون حياة في ظل هذا؟! من هنا يظهر

لنا حجم المعاناة النفسية التي واجهتها هاجر، وعظيم جزاء الله من أنّه جعل هذا البقعة من أرض وماء منسكا مقدسا للمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٣. امرأة العزيز

امرأةٌ ذكرت في آيات كثيرة من سورة يوسف، بدت ترفلُ في ثيابِ الترف والنعيم، وتتسلح بقوةِ السلطان، وتنهل من متعِ الحياة؛ حلالها وحرامها، فلا يمنعها مانعٌ أخلاقي من مراودةِ فتاها يوسف في صباه وجماله، ويحطم كبرياءها بعفتِه وورعه، فتتهمه بما ترتكبُه من إثم، وتزداد إصرارًا على إغوائه عندما يشيعُ خبرُها بين نساءِ المدينة، فتحيك له المؤامرةَ معهنَّ حتى يدخلنه السِّجن، لامتناعه عن مطاوعتهنَّ على الرذيلة، ولكنَّها وبعد بضعِ سنين تقف موقفًا فيه جرأة وصراحة، وفيه ندم واعتراف بالذَّنب (وتوبة)، وتبرئة لساحةِ يوسف – عليه السلام، وهذا يوضح البعد النفسي لهذه الشخصية التي بدأت متمردة مذنبة، وانتهت تائبة نادمة.[١]

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف:٥١)، إنّه اعترافٌ بالذنب وتبرئة لمن اتهمته وأدخلته السجن بريئًا، وزادت على ذلك أنْ علَّلتْ موقفَها هذا وعودتها إلى الحقِّ والصواب، فهي تكنُّ له كلَّ احترامٍ وتقدير، فتقول: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ (يوسف: ٥٢)، وتعليل آخر تورده: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، فهي تتراجعُ عن كيدِها ومؤامرتها عليه، وتعلن أنَّ الله هو الذي أحبطَ كيدَها، وهذا دليلٌ على أنّها مؤمنةٌ بالله، وأنَّ الله غفورٌ رحيم وهو ربها؛ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يوسف : ٥٣، ولا تنسى أن تتواضعَ وتنفي عن نفسِها البراءة؛ لأنَّ النفسَ أمارة بالسوء.

هنا تحليل لنفسية المرأة تتبع الشيطان، امرأة تفتن بجمال فتاها، وتراوده، فيأبى، وينتشر الخبر بين الناس، فتريد أن تبرر عملها وتنتقم ممكن مكر بها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾ من الآية (يوسف: ٣١-٣٢). وتحكم الخطة إرضاء لما وقر في نفسها من رغبة في تبرير ما مرت به، فتعد لهم مجلسا وطعاما يحتاج أن يقطع بالسكين، وتأمره بالخروج عليهن، فيشدهن بجماله، وتذهب السكاكين لتقطع الأيادي، فتجد بفعلهم مبررا لفعلتها، فتعلن إثر نجاحها في رأي نفسها أنها ستعاقبه أشد العقاب، إذا لم يقدم لها ما تريد.لقد رسمت هذه الآيات نفسية تتبع الشيطان فتنصاع للشهوات المحرمة، وهذا يدل دون أدنى شك على إعجاز الكتاب المبين.

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

٤ . أم موسى عليه السلام وأخته

قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٤٠). في هذه الآية وصف مختصر لحياة الرسول موسى عليه السلام من المهد إلى حين أتته الرسالة، وقد رسم النص القرآني نفسية الأم البائسة ونفسية موسى عبر مراحل حياته، ويظهر فيها عناية الله سبحانه، "حيث رده إلى أمه، فهدأت وفرحت، ثم قتل نفسا بالخطأ فأذهب الله عنه الغم من فعل ذلك، ثم يذكره بجملة أحداث منَّ الله عليه بتجاوزها، وذلك في قوله: "وفتَّاكَ فُتُوناً"، وجاء في تفسير هذه الآية: "سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنه، فقال: خلصناك من محنة بعد محنة، ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، وألقته أمه في البحر، وهم فرعون بقتله، وقتل قبطيا، وأجر نفسه عشر سنين، وضل الطريق، وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة، ...واضطر للهرب باتجاه مدين، وفي طريق عودته منها تأتيه الرسالة في طور سيناء"، ويظهر من خلال هذه الآية الأجواء النفسية المتتابعة.

وفي موضع آخر تفصيل لتلك الأحوال النفسية، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص:٧)، هنا أم خائفة على فلذة كبدها، فيأتيها الأمر بإرضاعه في المرحلة الأولى، فإذا شعرت بالخطر يتهدد طفلها من فرعون وزبانيته فيجب أن تلقيه في النيل، ولكن كيف تلقيه وقد يغرق أو يهلك!هنا يأتي النهي عن الخوف والحزن، فالعناية الإلهية تكلؤه، ثم تأتي البشارة بعد ذلك بعودته إليها، وأنه سيكون رسولا لرب العالمين."

لقد كان موسى نقمة على آل فرعون : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً" (القصص:٨)، وأعطاه الله فضائل من كلامه لله، والقوة الجسمانية ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص:١٥)، والقوة الانفعالية. ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ (طه:٩٤)، وكانت قوته في رد باطل ما زعمه فرعون، فعندما قال له فرعون ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ (الإسراء:١٠١) رد عليه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً﴾ (الإسراء:١٠٢).

٥. امرأة فرعون

لقد ظهر البعد النفسي لهذه المرأة في موقفين اثنين، هما:

الموقف الأول: تعلّقها بموسي – عليه السلام– وهو وليد صغير بعد أن أنجاه الله من اليم، إذ فجر فيها عاطفة الأمومة، مما دفعها أن تطالب جنود فرعون بعدم قتله وتبنيه : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (القصص : ٩)، ويتعلق قلبُها به وينشرح صدرُها له، لأنها كانت محرومة من الولد، فكان لها سلوى وعزاء بل ألقى الله عليه المحبة منه، فما رآه أحد إلا أحبه، ووقفت تدفعُ عنه الموتَ.

أما الموقف الثاني لهذه النفس المطمئنة، فهو أنه هانت عندها الدنيا؛ لتشتري الآخرة، فكانت لها البشرى بالفوز بنعيم الآخرة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم: ١١). "قال:قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده، فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه.

٦.ابنتا شعيب– عليه السلام

تمثلت الأبعاد النفسية لهاتين المرأتين في مواقف تبين معاناتهما لافتقادهما لمن يعينهما على هذا الظرف الصعب، فالأب شيخ كبار، والمجتمع يسوده الرجل كمعيل ومسؤول:

أ.عند مقابلة موسى عليه السلام والسقيا لهما، إذ كان التركيز على الاقناع بمبررات عمل المرأتين.

ب. حال كون إحداهما رسولة لدعوة موسى ليتقاضى أجر السقاية من أبيها، فالاستحياء من المرأة جانب نفسي يوحي بحسن التربية والأخلاق، عزز ذلك الكلمات المقتضبة والمعبرة للدعوة بشكل لائق.

ج. حينما عرضت إحداهما على أبيها استئجار موسى للعمل لديهم، في وقت كان هذا يعني مهر للنكاح، فالرغبة النفسية في التحصن أمر نفسي جلي في هذا الموقف.

بين لنا النص القرآني إعجاب ابنة شعيب – عليه السلام– بما رأت من قوة موسى عليه السلام وأمانته، فطلبت من أبيها أن يستأجره، وهذا في عرف ذلك الزمن معناه مهر النكاح، لذلك ما كان من شعيب عليه السلام إلا أن يعلم موسى برغبته في إنكاحه بإحدى بناته: (القصص:٢٣–٢٨). وكانت هذه الزوجةُ معه عندما سار بأهلِه عائدًا إلى بلدِه وآنس نارًا، ثم تلقى عندها الوحي بالنبوةِ والرسالة، وأُيِّد بمعجزةِ العصا واليد، ولم يكن لهذه الزوجة ولا لأختِها أكثر من هذا الدور الذي شكَّلَ مرحلةً من مراحل حياة موسى – عليه السَّلام.

٧. امرأة عمران

اختلجت نفس هذه المرأة مشاعر الحيرة والقلق، إذ نذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس، فإذا بالمولود أنثى، في وقت كان سدنة البيت المقدس من الرجال، فكانت الإجابة من رب العالمين بقبول هذه المولودة: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران: ٣٥ حتى ٣٧).

٦. مريم عليها السلام

صور الله تبارك وتعالى نفس مريم التي تفاجأت من روح الله (جبريل) الذي تمثل لها بشرا سويا؛ فاستعاذت بالله باسمه (الرحمن)، ليخاف الله ويتقيه. فما كانت إلا أن تقبلت أمر الله ، فكان الحمل والمخاض والولادة، ثم كان الفرج، فكلي واشربي وقري عينا وطمأنينة من الله لها بالبراءة، وقد ربط المفسرون بين هزّ جذع النخلة والفرج أن الله معها وسيرزقها كما رزقها سابقا. هنا نفسية فتاةٌ غير متزوجة تقيَّة نقية، تخرجُ من المعبد الذي نُذرت لخدمتِه متجهة إلى الشرقِ منه، وتحتجب عن أهلِها، فيتمثل لها الملكُ بشرًا سويًّا، فترتعب منه وتستعيذ بالله منه، فإذا هو يعلمُها أنه رسولُ الله إليها ليهب لها غلامًا زَكيًّا، وكيف يكون لها غلامٌ وهي لم تتزوج ولم يمسها بشر؟! ولكنها قدرةُ الله وإرادته، فما أهون هذا الأمر! وكان حملها أمرًا مقضيًّا في الحال، وتمتد بها أيامُ الحمل حتى ثقل عليها، فخرجت إلى مكانٍ قصي عن المعبد، وحانت ساعةُ المخاض فألجأها إلى جذعِ النخلة تتكئ عليه، ويعتصر قلبُها أمران: آلام المخاض، والتفكير في موقفها أمام قومِها بعد ولادتِها، فتمنت أن تكونَ قد ماتت قبل هذه الحالة ونسيها الناس، وجاءها المددُ والغوث من عالم الغيب وواقع المعجزات، فتسمع كلامًا من هذا الوليدِ أو من الملك يربطُ على قلبِها ويهدئ روعها: لا تحزني، فتحتك نهر يزيلُ عنكِ أوضارَ الولادة، وفوقك طعامُ رُطَبٍ جني يتساقطُ عليك إذا هززتِ جذعَ النخلة! ويعلمها كيف تواجه قومَها في هذا الموقفِ العصيب، بلا كلام، إشارة باليدِ إلى المولود وكفى، وهو يتولَّى الدفاعَ عنها، مولود في أيامه الأولى يدافعُ عن أمِّه بلسانه! بكلامه! معجزة تلي معجزة، معجزة ولادته من غيرِ أب، ومعجزة كلامِه في المهد! ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم : ٣٠).

٩. بلقيس

ملكة سبأ "بلقيس"، تلك الملكة التي أُوتيت من كلِّ شيء ولها عرشٌ عظيم، كانت تحكمُ بلادَ اليمن "سبأ" في بيئةٍ وثنية، تعبد وقومُها الشمس، وعندما علم سليمان – عليه السلام — بأمرهم أرسلَ إليها رسالةَ دعوةٍ يدعوها وقومها فيها إلى الانصياعِ لدولته: "أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ" (النمل : ٣١)، وعرض عليهم الإسلامَ والتخلي

عن عبادةِ الشمس: "وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" (النمل : ٣١)، هذه المرأة كانت سياسية ماهرة، تعرفُ كيف تتعامَلُ مع ذوي السلطان، وهذا يعكس لنا الجانب النفسي في هذه الشخصية من أنها تتمتع باستقلالية وهيمنة وسيادة ومع ذلك وقعت في حيرة من أمرها كيف تتصرف في هذا الموقف، وطلبت مشورة القوم، ولما اهتدت للصواب أرسلت إلى سليمانَ هديةً ثمينة، وأموالاً تختبره بها: هل هو رجل سلطان ومادة، أم هو رجل مبدأ وعقيدة ؟. ولكنه رفضَ هذه الرشوة فقال: " أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ " (النمل : ٣٦)، ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾، وهذا تهديدٌ حازم أرغمها على الحضور، وعرض عليها عرشَها الذي استحضره قبل وصولِها، وأدخل عليه بعضَ التعديلات السريعة ليختبرَ ذكاءها، فلم تنكرْه ولم تدَّعِه، بل قالت: "كَأَنَّهُ هُوَ"، ثم اختبرها اختبارًا هامًّا ليحطمَ مفاهيمَها الوثنية بطريقةٍ علمية، فأدخلها الصَّرح، وهو بناء أرضه من زجاجٍ صقيل صاف تجري تحته المياه، فحسبته ماءً جاريًا أمامها، وظنتْ أنها سوف تخوضُ هذا المجرى المائي، فشمَّرت ثوبَها عن ساقيها لكي لا يبتل بالماء، وهنا تبيَّنَ لها أنَّ هناك موجوداتٍ لا تراها العين (الزجاج الصافي)، فقد خدعتها العينُ إذ رأت الماءَ ولم تر الزجاجَ فوقه، وإذا كانت تعبد الشمس لأنها تراها، فهناك الله الذي خلقَ الشمس ولا تدركه الأبصار، ولذكائها فهمت الفكرةَ، وهنا أعلنت خطأها، فقالت كلمةَ الحقِّ واعترفت بأنها ظلمتْ نفسَها؛ إذ كانت تعبد الشمسَ من دون الله؛ ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وانتقلت بذلك من الوثنيةِ إلى دينِ التوحيد، بعد أن استعملَ سليمانُ – عليه السلام – معها طريقةً عملية، مستغلاً ما مكنه منه الله – تعالى – من صناعاتٍ وتقدم حضاري. وهكذا صارت بلقيس امرأةً صالحة مؤمنة في موكبِ النِّساء المؤمنات اللاتي تحدَّثَ عنهنَّ القرآن.

١٠. عائشة – رضى الله عنها

نزل فيها قرآنٌ يبرئها من تهمةٍ ألصقتها بها ألسنةُ السوء تعرف بحديثِ الإفك، عانت فيها أم المؤمنين من أزمة في حياتها الزوجية مع رسول الله (ﷺ) إثر هذا الإفك، واستمرت هذه المعاناة ما يزيد عن شهر حتى ظهرت براءتها، فكانت عائشة بذلك طاهرةً مطهرة مبرأة، ونتلو براءتها في عشرِ آيات من سورة النور، على مرِّ الزمان، فقد كانت – رضي الله عنهما – مع رسولِ الله (ﷺ) ففي غزوة بني المصطلق ألجأتها حاجتُها إلى الابتعادِ عن الرَّكبِ ليلاً لقضائها، وعندما عادت افتقدت عِقدًا رجعت تبحث عنه، وطال بحثُها، فارتحل الركبُ قبل أن تعود، وعندما رجعت وجدت المكانَ خاليًا من الجيش، فقعدت تنتظرُ عودةً من

يبحث عنها عندما يفتقدونها، وأقبل عليها صفوانُ بن المعطل المكلف بتعقبِ الجيش وجمع ما يتساقَطُ منه، وعرفها فاسترجع وأناخ راحلةً فركبتها، وسارت حتى أدركا الجيشَ ظهرًا، وهنا بدأت ألسنةُ السوء تتحدَّثُ بالسوءِ على عائشة، وكان من الذين جاهروا بذلك حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش – أخت زينب بنت جحش زوجة الرسول – وتولَّى كبرَ هذا الإفك عبدالله بن أبي بن سلول، وعائشة لا تدري بما تتداولُه الألسنة عنها، واستلبث الوحي شهرًا حتى علمتْ بالأمر واشتدت عليها وعلى الرسول (ﷺ) القضية، ثم نزلت آياتُ سورة النور تبرئها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (النور:١١)، ثم أعطت الآياتُ التالية درسًا للمسلمين وتأديبًا لهم: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (النور:١٢)، فهكذا ينبغي أن يكونَ تصرفُ المسلمين أنْ يحسنوا الظنَّ بأنفسهم وبأمِّ المؤمنين، ويتورَّعوا عن الاتهامِ أو الحديث به، وقد تمثلت هذه التربية في الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – عندما قالت له زوجته: "أمَا تسمع ما يقولُ الناسُ في عائشة؟ فقال: نعم، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أمَّ أيوب؟ قالت: لا والله ما كنتُ فاعلة، فقال لها: وعائشة والله خيرٌ منك!"، هكذا يكون حسنُ الظن بأمهاتِ المؤمنين، وهكذا يظن المؤمنون بأنفسِهم خيرًا.

١١. زينب بنت جحش

هي امرأةٌ ذات حسب وجمال، زوَّجها الرَّسولُ — (ﷺ) – من مولاه زيد بن حارثة – رضي الله عنه –، وكان قد تبناه قبل البعثة، وصار يُقال له: زيدُ بن محمد؛ عندما آثر البقاءَ عنده على الذَّهابِ مع أبيه وعمِّه، وبعد أن أنزل الله تعالى في حقِّ زيد وأمثالِه (الأحزاب: ٤–٥)، عاشت زينب – رضي الله عنها– سنةً مع زيد على مضض، وتعكَّرتْ بينهما العلاقةُ الزوجية إلى حدٍّ لم يبق زيد يطيقُه، ولعلَّ كون زيد مولى لمحمد لا ولدًا له، أشعر زينبَ بأنه دونها حسبًا ونسبًا، فتعَالَت عليه مما نغَّصَ حياتهما، فعرض زيد على الرَّسولِ – عليه السلام – أن يطلقَها، ولكن الرسولَ – عليه السلام –كان يشدِّدُ على زيد في أن يمسكَ زوجته: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب:٣٧)، هذه الآيات تظهر المعاناة النفسية التي مرت بها زينب — رضي الله عنها–بدء من عدم استقرار زواجها، وانتهاء بنظرة المجتمع

لمثل حالة زوجها. وهكذا أصبحت زينب إحدى زوجاتِ الرسول – عليه السلام – وإحدى أمهات المؤمنين، وزادت شرفًا إذ نزل فيها قرآنٌ يتلى، وكانت عنصرًا أساسيًّا في إلغاءِ متعلقات التبني ولواحقه.

١٢. أم حبيبة رضي الله عنها

أم حبيبة أم المؤمنين، تمثلت معاناتها الأولى في وفاة زوجها وهي في ديار الهجرة الأولى بعيدة عن أهلها، فتزوجها النبي — (ﷺ)– بعد وفاة زوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي ولها منه ابنتها حبيبة، أرسل المصطفى إلى النجاشي يخطبها، فأوكلت عنها خالد بن سعيد بن العاص وأصدقها النجاشي أربع مائة دينار وأولم لها وليمة فاخرة وجهزها وأرسلها إلى المدينة مع شرحبيل بن حسنة. تزوجت الرسول محمد سنة ٧ هـ، وكان عمرها يومئذٍ ٣٦ سنة.

وتمثلت المعاناة النفسية الثانية عندها عندما أصبحت زوجة لرسول الله (ﷺ)، وكان أبوها ما زال كافرا، فرفضت أباها:" في سنة ٨ هـ وقبل فتح مكة، قدم أبو سفيان المدينة ليكلم النبي طالبًا في أن يزيد في هدنة الحديبية، ولما دخل على ابنته أم حبيبة حجرتها، أسرعت وطوت بساطًا لديها مانعةً والدها من الجلوس عليه كونه فراش النبي، وقالت لوالدها: " هو فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك".

١٣. خولة بنت ثعلبة

هي زوجة أوس بن الصامت، وكانت قد مرت بعذاب نفسي كبير، إذ فقدت استقرار الحياة الزوجية في وقت داهمها الكبر والضعف مع وجود صبية صغار سيدفعون ثمن هذا الموقف العصيب، كان زوجها شيخًا كبيرًا، دخل عليها يومًا فراجعته بشيءٍ فغضب عليها، وظاهر منها – قال لها: أنت علي كظهر أمي – يريدُ بذلك أن يحرمَها على نفسِه، على عادةٍ كانت سائدةً في الجاهلية، فخرجت إلى بيتِ النبي، وذكرت له ما لقيت من زوجِها: "يا رسول الله، أكلَ مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطعَ ولدي ظاهر منِّي، اللهمَّ إني أشكو إليك"، فجعل النبي (ﷺ) يقول لها: "يا خولة، ابنُ عمِّك شيخ كبير فاتق الله فيه، ما أعلمك إلا قد حرمتِ عليه"، فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي وأشكو أبا صبيتي، فرأت عائشةُ وجهَ رسول الله (ﷺ) قد تغير، إيذانًا بنزول الوحي عليه، فنحتها عنه، ومكث رسولُ الله (ﷺ) في غشيانه، فلمَّا انقطع عنه الوحي قال: "يا عائشة، أين المرأة؟ فدعتها، فقال لها رسولُ الله – عليه السلام –: "يا خولة، قد أنزل الله فيكِ وفي صاحبك، ثم قرأ عليها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ إلى آخر الآية (المجادلة:١)، وقال لها الرسولُ – عليه السلام –:

مُريه فليعتق رقبة، فقالت: ما عنده ما يعتق، قال: فليصمْ شهرين متتابعين، قالت: والله إنه شيخٌ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينًا وسقًا – ستين صاعًا – من تمر، قالت: يا رسول اللهِ، ما ذاك عنده، فأعانه الرسولُ بثلاثين صاعًا، وأعانته زوجته بثلاثين.

ثانيا:البعد النفسي للمرأة غير السوية في القرآن الكريم

١. امرأتا نوح ولوط

ضرب الله مثلا في الخيانة بالكفر امرأة نوح ولوط ، وهما كما في النص القرآني تحاولان الاستشفاع وهذا دليل الندم والحسرة، ولكن لم ينفعهما استشفاعهما باقترانهما بعبدين صالحين من عباد الله هما نوح ولوط عليهما السلام، وهذا يشير إلى العذاب النفسي للنفس الكافرة التي تتمنى في يوم البعث لو أنها كانت ترابا، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم:١٠)، ووسمتا بالمرأتين وليس بالزوجتين، لمخالفتها أصول الزوجية: السكينة والمودة والرحمة بالخيانة إثر الكفر. وكما قيل: إن اسم امرأة نوح واعلة، واسم امرأة لوط واهلة، وقال مقاتل:والعة وواهلة، والتحتية هنا مجازٌ في معنى الصيانة والعصمة، "مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ"، وقوله:"فَخَانَتَاهُمَا" أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، بل كانتا كافرتين فلم يُجْدِ قربهما من الأنبياء شيئًا، ولا دفعَ عنهما محذوراً؛ ولهذا قال:"فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" أي: لكفرهما، فليس المراد بقوله: "فَخَانَتَاهُمَا" أي: في فاحشة، بل في الدين، فإن نساءَ الأنبياء معصوماتٌ من الوقوع في الفاحشة؛ لحرمةِ الأنبياء، قال الضحاك عن ابن عباس:"ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين". وقصة امرأة نوح لم ترد إلا في هذه سورة، إلا أن الله أشار لهلاكها في سورة (هود : ٤٠). أما امرأة لوط فقد ورد ذكرها وذكر هلاكها مرارًا في عدة سور.

٢. امرأة أبي لهب

هي زوجة عمِّ الرسول (ﷺ) (عبدالعُزَّى) الذي كان يُؤذِي رسولَ الله (ﷺ) وتُشارِكه في ذلك زوجته، أذًى ماديًّا بنَثْرِ الشَّوْك في طريق الرسول – عليه السلام – وهو جارٌ لهم، وأذًى معنويًّا عندما عمِلاَ معا على تطليق ابنتيه اللتَين قد خطبتا لولديهما. وهذه المرأة هي المعروفة بأمِّ جميل حمَّالة الحطب، واسمها أروى بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان ،كما وصَفَها القرآن الكريم، لقد حملت نفس هذه المرأة حقدا

وكرها للرسول – (ﷺ)– دفعها هذا الحقد لإيذائه، لذلك خصَّها الله – تعالى – مع زوجها بإحدى قِصار السُّوَر وهي سورة المسد مبينا دواخل هذه النفوس ومصيرها. (المسد: ١– ٥).

٣. ناقضة الغزل

(ناقضة الغزل) امرأة من مكة، هي ريطة بنت عمرو بن سعد بن زيد، ورد ذكرها في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (النحل:٩٢). وكانت خرقاء تغزل هي وجواريها من الغداة إلى نصف النهار، ثم تأمرهن فينقضن جميعاً ما غزلن، فكان هذا دأبها لاتكف عن الغَزل، ولاتبقي ما غزلت (ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٢٠٠٢م)، هذا يوضح لنا أنّ نفس هذه المرأة غير سوية، وذلك لأن هذا تصرف غير طبيعي، والنص القرآني هنا يكشف لنا أقدم تشخيص نفسي لمثل هذه الإعاقات السيكولوجية. فهنا إشارة إلى أن مثل هذه النفوس تميل نحو التدمير والتخريب لما هو نافع، ويظهر لنا من هذا البعد النفسي صورة أخرى تميل للتدمير دون إعاقة، وإنما من باب الأنانية والحقد يقول تعالى مبينا نفوس اليهود : ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ (الحشر: ٢).

ثالثا: البعد النفسي المرأة بين الماضي والحاضر

لقد تجلت لنا بوضوح جوانب نفسية مهمة للمرأة من خلال المواقف التي أبرزها النص القرآني، هذه الجوانب النفسية كانت وما تزال ملتصقة بالمرأة، وما أشبه اليوم بالبارحة، فما تزال المرأة المسلمة الإيجابية عنصر بناء فعّال في المجتمع من خلال أمومتها وعطائها، وما تزال ثابتة رغم الظلم والقهر التي تواجهه في حجابها رمز سترها وعفافها، وما تزال تتحلى بأسمى الصفات وفضائل الأخلاق، فعفة مريم هي عفة كلّ مسلمة انتصرت على الشهوات، والحرص على التحصن بالزواج كرغبة ابنة شعيب، هي رغبة كلّ مسلمة في الستر، وحبّ ّ أم موسى لوليدها، هو فطرة كلّ مسلمة في التعلق بفلذات أكبادها، وحنان زوجة فرعون على موسى فطرة كلّ مسلمة ترغب في الولد، وفرح سارة زوج إبراهيم السلام ببشارة الولد، هي فرحة كل مسلمة تاقت للإنجاب، وشكوى سارة من ضعف الكبر حال الحمل والولادة ، هي شكوى كل مسلمة تواجه تقدم العمر والضعف الجسدي، وحكمة بلقيس ، هي العقل الراجح لكل مسلمة تبدي المشورة الحسنة والنصح،

وإظهار الضعف الجسدي للمرأة في التكليف بالأعمال الشاقة تعزز في شكوى امرأة عمران ون المولود أنثى، وليس ذكرا.

أما المسلمة السلبية فما تزال تضعف أما غواية الشيطان كضعف حواء في اتباعها لآدم إثر غواية الشيطان، وكمثل ضعف امرأة العزيز أمام شهواتها. أما الجوانب النفسية للمرأة الكافرة من العناد كامرأة أبي لهب، والخيانة في الدين كامرأتي نوح ولوط، فهم كثر في عالم المرأة الضالة الكافرة اليوم. إن هذه الجوانب النفسية قد ظهرت مرتبطة بالزمن (العمر والتاريخ)، وبالمجتمع من علاقات(زواج وما يرتبط به)، وبالكون شمولية، فهي نماذج بشرية خالدة في الجانب الإيجابي والسلبي للمرأة.

خلاصة

حفل القرآن العظيم بصور متعددة لحالات نفسية للمرأة سواء أكانت زوجة أم مطلقة، أمّا أم عاقرا، ابنة أوأختا، بكرا أم ثيبا، مؤمنة أم كافرة، ملكة أم مملوكة، عاقلة أم خرقاء. وارتبط حيوات هؤلاء النساء برجال عظام في إيمانهم وكذلك في كفرهم، فكنّ أشبه بنماذج بشرية لجوانب مضيئة وأخرى مظلمة من الحياة الاجتماعية. وتجلت عظمة كتاب الله في التشريح النفسي الدقيق لهذه الحالات، مما يدعونا للقول بأن أسس الدراسات النفسية منبعها من هذا الكتاب العظيم سواء في التشخيص أم العلاج، ومما يثبت لنا تعظيم الله تبارك وتعالى لهذه النفس وما يعتريها من مؤثرات، هذه النفس التي ألهمها فجورها وتقواها.

المصادر والمراجع

ابن أبي الإصبع، ز. ا. (١٩٩٠م). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

عبد الرحمن، عائشة، ع. (١٩٧١م). الإعجاز البياني للقرآن الكريم. القاهرة: دار المعارف.

الزمخشري، م. ب. (١٩٨٥م). تفسير الكشاف. بيروت: دار الكتاب العربي.

الطباطبائي، ا. م. (١٩٩٧م). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي.

الطبرسي، ا. ب. (١٩٩٧م). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

القرطبي، أ. ع. (١٩٦٤ م). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القشيري، ع. ا. (١٩٨٧م). لطائف الإشارات. القاهرة: دار الكتاب العربي.